الإسم : ابتسام

اللقب : الغابري

الاختصاص : دكتوراه في علم السكان

الدولة : الجمهورية التونسية

التنوع الثقافي:رمزيته وتمثلانه في مجتمعات المغرب العربي،اللغة مثالا

التقديم:

يتكون عالم الانسانية من مجتمعات مختلفة ذات ثقافات متعددة،فلا نجد مجتمعا او بلدا يتوفر على تجانس ثقافي او لغوي او ديني مطلق.حيث يمس هدا التنوع الثقافي جميع مناحي الحياة البشرية.كما يبين الاختلافات القائمة بين المجتمعات الانسانية في الانماط الثقافية السائدة فيها.ولقد تهيأت بفضل الثورة الثقافية الكونية وبفضل التطورات العلمية والتقنية فرص الاطلاع على ثقافات الشعوب من زوايا جديدة ووفق مناهج بحث علمية.

حيث يساهم رفع مستوى الوعي بأهمية التنوع الثقافي وتعزيز الحوار بين الثقافات في مواجهة عمليات التعصب والتنميط وفي تدعيم قوة محرك التنمية على كل الاصعدة ومنها الحياة الفكرية والروحية وممارسة الابداع والقبول بمبدأ التنوع الثقافي هو السبيل لخلق الحوار بين الثقافات للتوصل الى قدر مناسب من التفاهم ويمكن للتراث الثقافي ان يصبح بمثابة المساحة المشتركة للحوار المتبادل والمنفتح دون الافتقاد للحس النقدي.

حيث يقع المزج بين الحضارات والثقافات ليخلق نوعا من التعايش الكوني المنسجم.وقد لعبت ظاهرة العولمة دورا رياديا في تكريس هذا النمط المعيشي العالمي،وهو ما يحمله ايضا مفهوم التنوع الثقافي بكونه فكرة لتعايش بين أكثر من مظهر ثقافي داخل نفس الوسط المجتمعي،وعندما يكون لدى المجتمعات وجود تعبيرات ثقافية متنوعة فان ذلك ينعكس في ظهور ديناميات مجتمعية مختلفة بين تلك الكيانات الثقافية.

فمفهوم التنوع الثقافي اصبح يحمل قيمة مجتمعية،وهي قيمة توجيهية من شأنها أن توفر نوعا من خارطة الطريق للتنظيم الاجتماعي والثقافي والمؤسس لمجتمعاتنا المعاصرة.

فكل ماهو ثقافي يحمل حتما رمزية كبيرة،كأن يعرف بخصوصية المجتمع ويخلق نوعا من التفاعل بين المجتمعات،فهو يعمق هذا التفاعل الذي اساسه التعرف على الذات

من خلال الآخر للتوصل الى قدر من التفاهمات المشتركة وكذلك تدعيم فاعلية وجدوى التنوع الثقافي في اثراء الحياة الاجتماعية والثقافية وضمان جودتها وقدرتها.

فالخطاب الثقافي يتكون من مجموعة منظمة من القضايا المعلنة انطلاقا من موقع خاص للانتاج الرمزي من طرف فاعلين ثقافيين ومنه تصبح مختلف البراديقمات المهيكلة لحقل الانتاج الرمزي في حالة التنافس معبرة عن رؤية حول العالم بين مجموعة متضاربة وتكمن وظيفتها الاجتماعية في امتلاك السلطة الرمزية والتحكم في استراتيجياتها.

واذا اخذنا مثالا لتمظهرات هذه الظاهرة في المجتمعات المغاربية فأننا سنلاحظ ما تحمله من رمزية وكيف يقع تمثلها لدى شعوب هذه الدول.وهو ما يدفعنا حتما الى التساؤل حول ما المقصود برمزية التنوع الثقافي وماهي اهم تمثلاته في المجتمعات المغاربية.على مستوى اللغة خاصة.

1-رمزية التنوع الثقافي:

اذا تحدثنا عن الثقافة فاننا نقول هذا النظام التعبيري والنسق الانتروبولوجي المتكامل لمجموعة بشرية معينة،لذلك ثقافات وليست ثقافة ولو داخل بنية اجتماعية واحد.

أ-تعريف التنوع الثقافي:

نجد تعريفات متعددة للثقافة،حيث يعرفها تايلور "بان ثقافة او حضارة موضوعة في معناها الانتروبولوجي الاكثر اتساعا هي هذا الكل المركب،الذي يشمل المعرفة والمعتقدات والفن والاختلاف والقانون والعادات التي يكتسبها الانسان بوصفه عضوا في المجتمع".

كما بعرف كلود لفي ستروس الثقافة"بانها مجموعة انساق رمزية تتصدرها اللغة وقواعد الزواج والعلاقات الاقتصادية والعلم والدين،وكل هذه الانساق تهدف الى التعبير عن بعض اوجه الحقيقة الطبيعية والحقبقة الاجتماعية".

فالمعارك الثقافية هي اعمق تجربة يمكن للمجتمع الخوض فيها من اجل تجاوز رواسب الماضي واطر التقليد وآليات الاستلاب الفكري والهيمنة الايديولوجية.يمكن استبدال اساليب الهيمنة،لكن على ارضية التحرر،وهذا تنشده كل هوية ثقافية نقدية[1].وربما المعركة الثقافية الاصلية لن تنجز إلا داخل صيرورة نسق من الانجازات الاقتصادية والسياسية.

كما نجد من يعرف الثقافة على اساس ارتباطها بآليات الهيمنة والتحكم في الذوات البشرية وفقا لحاجات أنظمة الحكم في صورة العناصر الفاعلة والمعتدلة والمحبة للتعايش والسلم،ولكن سرعان ما تحولت الثقافة في العصر الراهن إلى سلاح ايديولوجي يساعد على شحن الجماهير وفق مقاصد مسطرة مسبقا.[2]

[1] محمد عابد الجابري،العولمة وأزمة اليبرالية الجديدة،الشبكة العربية للابخاث والنشر ص72

[2] مونس بخضرة،التفكير في الثقافات، اسءلة الفرق في الثقافة الهندية والمغاربية الطبعة الاولى،لبنن،كندا 2016 ص7

فلقد ظلت الثقافة منذ القدم ولازالت كذلك،موردا معنويا وماديا أساسيا للانسان الذي خضع لقوانين التطور والتنوع الثقافي بدوره مكونا اساسيا لحقوق الانسان وعملية التثاقف تعتبر تدويلا ثم عولمة،فما يميز مجتمع عن آخر هي النماذج الثقافية الموجودة فيه.فالتنوع الثقافي يعني التعدد والاختلاف بين أفراد المجتمع الواحد،الذين رغم اختلاف خلفياتهم الثقافية،إلا انهم يشاركون في عوامل متعددة ومنها اللغة، وتقوم العلاقات بين الافراد من ثقافات متنوعة على اساس الاحترام والتشارك والتسامح،اضافة إلى تمتعهم بحقوق متساوية دون أي تميز أما الهوية الثقافية فهي محصلة التجارب التاريخية لدولة ما،كالحروب والصراعات والخبرات التاريخية التي خرجت منها هذه التجارب،وباختصار تعتبر الهوية الثقافية لمجتمع المظلة التي تجمع أفراد المجتمع على اختلاف خلفياتهم الثقافية.

ولعل ابرزها ما يميز الهوية الثقافية قدرتها على استيعاب التنوع الثقافي للشعوب ووظيفتها التي ترتكز على جميع أفراد المجتمع من الثقافات المختلفة لتجعل منهم هوية ثقافية واحدة.

في البداية تعتبر الثقافة إدراكا للعالم وهب بداية طبيعية ان تكون صورا ذهنية تنشأ بواسطة الاتصال والتفاعل ثم تصبح كلا متكاملا من طرف التفكير والشعور والعمل كمحصلة للوعي بالعالم والأشياء والتكيف معه وتحقيق شروط البقاء فيه.

فقدرة الانسان على انتاج الثقافة هي أهم خاصية تميزه عن باقي المخلوقات،فالعادات والتقاليد والأفكار التي يشارك فيها أفراد المجتمع والتجارب التي يمر بها الانسان يتشبع بها في اعماقه ويستخدمها المجتمع جيلا بعد جيل ويحولها إلى قيم وتراث جماعي حيث تظهر القيم والمثل وتتجلى من خلال سلوكيات يمكن ملاحظتها،بحيث تصبح النماذج الثقافية بمعايير رمزية للقيم.

ويمكن القول أيضا أن انقياد السلوك الخارجي للأنماط السلوكية السائدة يرمز إلى انتماء الشخص الفاعل إلى نظام معين من مراتب القيم،وأي انتماء إلى القيم يرمز بدوره إلى الانتساب إلى مجتمع بعيينة وهكذا يظهر عالم النماذج والقيم عالم رمزي كبير.

ب- رمزبة التنوع الثقافي:

الرمزية هي مذهب من مذاهب الأدب والفنون بصفة عامة،يعبر عن المعاني الخفية او الضمنية والانطباعات النفسية عن طريق الإيحاء والتلميح والدلالة غير المباشرة،بدلا من الاسلوب التقريري المباشر،وذلك كي يشارك القارئ في فهم الفكرة وتكملتها أو الاضافة إليها من خياله،ويتضمن هذا الاصلاح أشكالا عديدة من أنماط السلوك ومن عملية إعطاء معان لأشياء خاصة بحيث يصبح في الامكان الجزء ان يعرب عن الكل ويعبر عنه ويشير إليه.[3]

كذلك تعتبر الرمزية في مدرسة التحليل النفسي طريقة أولية في التفكير تظل في اللاشعور حيث تخفي معاني الاحلام،ويمكن التوصل إلى معنى الرمز عن طريق التداعي الحر للأفكار. فالبعد الرمزي أوجد عمليا الفرق الاساسي بين الانسان وباقي الكائنات وهو بعد يتمثل في انتاج الرموز واستعمالها كمحصلة لتطور بطيء ومتدرج ولم يكن هذا ممكن إلا لان الانسان كائن عاقل ومفكر يمتلك استعدادات لتمثل الاشياء بطريقة رمزية.

2 –تمثلات الرمزية الثقافية في دول المغرب العربي على مستوى اللغة:

يوجد تنوع ثقتفي في اطار الوحدة اللغوية كما هو حاصل في الثقافات العربية،بالاضافة إلى شعوب امريكا الاتينية التي لها خصوصيات التنوع نفسها في اطار لغة موحدة،وعلى الرغم من ان التنوع الثقافي ضرورة بشرية فقد أظهر التاريخ وجود صدامات متكررة بين الثقافات المتنوعة غالبا ما ينجم هذا النوع من الصراعات نتيجة لعدم تقبل اللآخر.وبالتالي الدخول معه في زوبعة من الحروب والنزاعات،فالثقافة تتضمن رؤية كونية ونسق حياتي ونمط سلوكي تأثر على تصور وتحديد ماهية حقوق الانسان.فبين الانا والآخر علاقة جدلية لا ينبغي إلغاءها أو تجاهلها والسكوت عنها،فعلاقة

[3] عبد الغني عماد،سوسيولوجيا الثقافة،المقاهيم والاشكاليات من الحداثة إلى العولمة،مركز دراسات الوحدة العربية،الطبعة الاولى بيروت 2006 ص 162

كل منهما بالآخر هي ثنائية قائمة في طبيعة الحياة،يعد كل شطر منها شرطا لوجود الشطر الآخر وفهمه ووعيه والاعتراف به.[4]

وخير مثال لهذا الاختلاف والوحدة في الآتي ذاته هي اللغة أو تعدد اللهجات في الاوطان العربية وفي البلدان المغاربية خاصة،حيث نجد اللهجات المغاربية أو الدارجة التي تعد جملة اللهجات العربية المحكية في بلدان المنطقة المغاربية، وتضم هذه اللهجات كل من الدارجة المغربية والدارجة الجزائرية والدارجة التونسية والدارجة الليبية والدارجة الموريتانية،وتتقارب بعضها من بعض بحسب الموقع السكاني لناطقيها ويمكن رؤية تشابه بينهما،كما يمكن رؤية الاختلاف فاللهجة الليبية مثلا تختلف عن المغربية بالقدر الذي تختلف عن السورية أو اللبنانية عن الاولى،فهي أكثر شبها باللهجة التونسية. فاللهجة الليبية يغلب عليها الطابع البدوي مع نسبية الامر في طراباس فحسب كلود لفي ستروس ما يميز اللغة قابليتها لان تنتقل من لسان الى لسان،قابليتها للترجمة فأخص خصائص الانسان هي الثقافة وأكثر العناصر ثقافة إنما هي اللغة،وأميز عناصرها هو الرمز حنى وان كان الحيوان يتواصل فإن تواصله يتم عبر آليات حركية أو عبر التصويت قاللغة ميزة إنسانية ثقافية اجتماعية بإمتياز.

فلقد كانت اللهجات العربية قبل الفترة الاسلامية ذات تنوع واختلاف في المفردات والأساليب والتراكيب مع ذلك كان هناك لهجة موحدة في كتابة القصائد والعهود والمواثيق.

وبالنسبة للهجات المغاربة فتعتبر صعبة الفهم قليلا بالنسبة للمشارفة وربما صعبة للغاية أحيانا.فاللغة هي اساس التواصل الفكري والحضاري واللغة العربية قدسية خاصة لأنها هي اللغة التي أختارها المولى عز وجل لتكون لغة كنابه المقدس.ولكن إذا نظرنا إلى اللغة العربية من ناحية أخرى المستعملة في الشوارع والمحلات من خلال ألافتات واللوحات الاعلانية،نلاحظ تلوثا لغويا لا مثيل له حيث استعمال الدارجة وكتابة الاعلانات بالحروف ألاتينية،واستعمال كلمات انقليزية أو فرنسية مكتوبة بحروف عربية ونفس

[4] حسين العودات :الآخر في الثقافة العربية من القرن السادس حتى مطلع القرن العشرين،الطبعة الاولى بيروت 2010 ص 19

الشيء نجده في إعلانات وسائل الاعلام التي تراعي قوانين احترام اللغة السليمة على الاطلاق وهذه كلها عوامل ساهمت في نشر العامية الدارجة وفي نشر ثقافة الاعتداء على اللغة الفصحى بحجة التبسيط والتطور والتأقلم مع معطيات العصر،فالإعلام مثلا هو بحاجة أكيدة إلى مراجعة لغته وذلك بهدف احترام الهوية العربية والشخصية العربية والسيادة العربية،لان اللغة العربية الفصحى السليمة من مكونات الشخصية العربية الأصيلة،فهي كذلك عاملا لتركيز الهوية خاصة وان هذه الأخيرة تستدعي تحقيق المصالحة بين الانسان وبعده الاجتماعي بمعنى التوافق بين القيم الأخلاقية التي ترتقي بالإنسان إلى تحقيق كماله النوعي دون حصره في بعد واحد،والتحرر بصفة عامة هو شكل من اشكال الاغتراب الإنساني الذي أدى لإفلاس المعنى والهدف الاساسي تحقيق السعادة في إطار إنساني وكوني للعيش سويا وبهذا تصبح القيم والمثل هي التي توجه الفعل الانساني الفردي والجماعي نحو حضارة أرقى بالمعنى الكلي والكوني.[5]

فالهوية فضيلة لا يمكن عزلها عن الثقافة كما لا تتحمل إدماج الايدولوجيا في النقاش الجدي السليم فهي نتاج الجميع لا فرق بين البدوي والحضري والقار والمتنقل وبين العربي والموريسكي والأعجمي،هي كنز فني معرفي،حياتي ومصالحة مع الذات ومع التاريخ والأزمنة.على المرء ان يكون من زمانه كما قال فيكتور هيقو.

فتعدد اللهجات في بلدان المغرب العربي يدل على تنوع وتعدد العادات وتقاليد وثقافات المجتمعات العربية،فهؤلاء الشعوب يتواصلون بطريقة سلسة وبلهجات مفهومة وربما متقاربة حتى أننا نجد عدة كلمات مستعملة ذات نفس المعنى وربما في المجتمع الواحد نجد لهجات متنوعة تدل كل واحدة منها على جهة معينة من ذات المجتمع،فاللهجة تعتبر سفيرة البلدان وهي ترسيخ للهوية القومية والوطنية والهوية الإقليمية.

التنوع الثقافي خاصية جميع مجتمعات العالم. حيث لا نكاد نجد مجتمعا أو بلدا يتوفر على تجانس ثقافي أو لغوي أو ديني مطلق حيث يطبع التنوع كل مناحي الحياة البشرية،في اللسان والتقاليد والمعتقدات وغير ذلك كما يفيد التنوع الثقافي الاختلافات

[5] الناصر عب الاوي:الهوية والتواصلية في تفكير هابرماس "الرابطة العربية الاكاديمية للفلسفة،"دار الفرابي ص 205

القائمة بين المجتمعات الانسانية والأنماط الثقافية السائدة فيها ويتجلى هذا التنوع من خلال أصالة وتعدد الهويات المميزة للمجتمعات التي تتألف منها الإنسانية.

الـــــمراجع:

1- الناصر عبد الاوي:الهوية والتواصلية في تفكير هابرماس "الرابطة العربية الأكاديمية للفلسفة،"دار الفرابي ص 205

2- محمد عابد الجابري،العولمة وأزمة الليبرالية الجديدة،الشبكة العربية للأبحاث والنشر ص72

3- مونس بخضرة،التفكير في الثقافات، أسئلة الفرق في الثقافة الهندية والمغاربية الطبعة الأولى،لبنن،كندا 2016 ص7

4- عبد الغني عماد،سوسيولوجي الثقافة، المقاهيم والإشكاليات من الحداثة إلى العولمة،مركز دراسات الوحدة العربية،الطبعة الأولى بيروت 2006 ص 162

5- حسين العودات :الآخر في الثقافة العربية من القرن السادس حتى مطلع القرن العشرين،الطبعة الأولى بيروت 2010 ص 19